مقابلة خاصة

المحاضر في قسم التاريخ العام في الجامعة العبرية في القدس الدكتور ألكسندر يعقوبسون:

تعبير «دولة يهودية» لا يمكن أن ينأى عن المفهوم الذي ورد في قرار التقسيم

أجرى المقابلة: بلال ضاهر

يطالب رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، الفلسطينيين بالاعتراف بإسرائيل على أنها «دولة يهودية» أو «الدولة القومية للشعب اليهودي». وعلى الرغم من الرفض لهذه الفكرة، على الأقل لكونها تتعارض مع المنطق السياسي والدبلوماسي وأي منطق آخر، إلا أن تعبير «الدولة اليهودية» يثير تساؤلات حول الهدف من المطالبة بالاعتراف بتعبير كهذا، وبالأساس، يثير مطلب نتنياهو تساؤلاً حول ما هي «الدولة اليهودية»؟ ما هو تعريفها؟ ما هي مميزاتها وخصوصيتها؟ وما يتبين هو أنه توجد اجتهادات لتعريف ذلك، ولا يوجد تعريف يتفق حوله الإسرائيليون.

غير أن توقيت طرح نتنياهو مطلبه باعتراف الفلسطينيين بـ «الدولة اليهودية»، وإضافة إلى أنه لا يتعدى كونه مناكفة سياسية للتهرب من استحقاقات عملية سلام، جاء في وقت تتصاعد فيه مظاهر العنصرية والكراهية لغير اليهود في إسرائيل. وتمثلت هذه المظاهر مثلاً في عريضة الحاخامات التي تحظر على اليهود تأجير أو بيع بيوت لغير اليهود، أي للعرب. وتدل استطلاعات الرأي العام على أن نصف اليهود على الأقل لا يريدون جاراً عربياً، أو يعارضون وجود تمثيل عربي في الكنيست أو مشاركة العرب في الانتخابات العامة. كذلك تنامت في الفترة الأخيرة مشاعر الكراهية الشديدة للعمال الأجانب والمهاجرين الأفارقة، الذين يتسللون إلى إسرائيل. وقد بلغ هذا الأمر حداً دفع نتنياهو إلى التحذير من التعرض والاعتداء على الأفارقة. وتنعكس في هذا الوضع صورة للمجتمع الإسرائيلي بالإمكان وصفها، في أفضل الأحوال، بأنها صورة مجتمع يفتقر إلى مشاعر التسامح.

وقد أجرت «قضايا إسرائيلية» حواراً حول هذه المواضيع مع المحاضر في قسم التاريخ العام في الجامعة العبرية في القدس، الدكتور ألكسندر يعقوبسون. وهو إلى جانب كونه أكاديمياً فإنه ناشط سياسي وكاتب مقالات. ونشر يعقوبسون العديد من المؤلفات والأبحاث حول قضايا سياسية آنية، وبينها مسألة «الدولة اليهودية»، إلى جانب أبحاثه الأكاديمية في التاريخ القديم.

تعبير أيديولوجي

(*) سؤال: ما هو تعريف «دولة يهودية»؟

يعقوبسون: «'دولة يهودية' هو تعبير أيديولوجي. ولكل تعبير أيديولوجي ثمة تفسيرات متعددة، ولا يوجد تعريف واحد يتفق الجميع عليه. وهذا شبيه بمصطلح 'الديمقراطية'، الذي لا يوجد اتفاق كامل حول تعريفه. أو ماذا يعني عندما نقول 'دولة عربية'، فهذا مصطلح مكتوب في الدستور، في عدة دول. ماذا تعني عروبتهم؟. صحيح أن هذا يعني الانتماء للأمة للعربية، لكن ماذا يعني بالنسبة للمواطنين غير العرب؟ هل هم مواطنون من الدرجة الثانية؟ أو ماذا يعني أن الإسلام هو دين الدولة؟ هل هذا يمنح المسلمين امتيازات أكثر من غير المسلمين؟ ففي مصر وفي السلطة الفلسطينية، مثلاً، مكتوب في دستوريهما أن دين الدولة هو الدين الإسلامي. حسناً، لكن تفسير حركة حماس هو أن الإسلام هو دين الدولة، وماذا يعني هذا، وتفسير اليساريين الفلسطينيين أو حركة فتح، لهذا التعريف مختلف تماماً عن تفسير حماس. ماذا يعني أن تركيا هي دولة علمانية؟ ويوجد الآن رئيس حكومة [رجب طيب أردوغان]، وهو مقرب من الأصوليين المسلمين، رغم أنه ينفي ذلك، لكنه يقول إنه موالٍ لدستور الدولة العلماني. والأمر الواضح هنا هو أن تفسيره للعلمانية مختلف عن تفسير الكماليين [نسبة إلى كمال أتاتورك] لعلمانية الدولة. ما أريد أن أقوله، ولن أتهرب من سؤالك، هو ما هي 'الدولة اليهودية' برأيي، وأعتقد أن رأيي يمثل أساساً جيداً للوثائق الرسمية لدولة إسرائيل وقوانينها، لكني لا أقول إن تحليلي هو التحليل الوحيد الموجود أو أنه التحليل الصحيح: أنا أفهم تعبير 'دولة يهودية' بالمفهوم نفسه الذي وضعته الأمم المتحدة للدولة اليهودية، عندما صوتت على قرار التقسيم في العام ١٩٤٧. ومن هناك جاء تعبير الدولة اليهودية. وتعبير الدولة اليهودية في وثيقة استقلال إسرائيل جاء من قرار الأمم المتحدة. وقد تحدث هذا القرار عن دولة يهودية ودولة عربية. وللشعبين اليهودي والعربي اختلافات في الهوية والثقافة ولديهما تطلعات سياسية متناقضة، ولا يمكنهم الاتفاق سوية في دولة واحدة. وهذا ما قررته الأغلبية بينما الأقلية اقترحت دولة ثنائية القومية ولكن في إطار فيدرالي. وقد عارض اليهود الدولة ثنائية القومية لأنهم أرادوا إحضار مهاجرين يهود إلى البلاد، والعرب عارضوا ذلك لأنهم اعتبروا ذلك محاولة لجعل العرب أقلية في وطنهم. ولذلك تقرر تقسيم البلاد...».

(*) سؤال: لكن «الدولة اليهودية»، وفقاً لقرار التقسيم، لم تكن لليهود فقط، وإنما اشترط القرار أن يبقى العرب، سكان البلاد، في أماكنهم.

يعقوبسون: «بالتأكيد. بل إن قرار التقسيم ينص على وجود أقلية عربية كبيرة جداً تعادل ٤٠٪ من سكان الدولة اليهودية. وهذا قبل الحرب ولم يكن هناك لاجئون عندها. وبالمناسبة كان يفترض أن تتواجد أقلية يهودية صغيرة في الدولة العربية. كذلك نص القرار على وجوب ضمان المساواة بين الأكثرية والأقلية. وقد تناول القرار مسألة الأقليات بتوسع، وأن تتبنى الدولتان شرائع الأمم المتحدة فيما يتعلق بالمساواة. كما أن القرار طالب الدولة اليهودية بالسماح بالحفاظ على اللغة والثقافة العربية بسبب وجود أقلية عربية كبيرة فيها. وبالتأكيد هم لم يفكروا بأن الدولة اليهودية ستكون لليهود فقط، وإنما ما قالوه هو أن يتم منح استقلال قومي للشعب اليهودي في فلسطين».

(*) سؤال: لنعد إلى تعريف «الدولة اليهودية»..

يعقوبسون: «تعبير 'الدولة اليهودية' ظهر في وثيقة استقلال إسرائيل، وفي رأيي- وأنا لا ألتزم بهذا مئة بالمئة وإنما وفقاً لما أقدره- فقط لأنه ظهر في قرار الأمم المتحدة. هذا لا يعني أن الصهاينة لم يتحدثوا عن إقامة دولة، لكن مصدر هذا التعبير كان من الناحية الرمزية. والتعبير الذي استخدمه [واضع فكرة دولة اليهود، ثيودور] هرتسل باللغة الألمانية هو 'دولة اليهود'. ولا يزال هناك الكثيرون الذين يطالبون بالعودة إلى استخدام تعبير هرتسل لأنه يبعد الجانب الديني. والمثير أنه عندما طالبت الحركة الصهيونية بدولة فإنها تحدثت عن 'دولة عبرية'. وعندما تقرأ الوثائق والخطابات وتشاهد الأفلام والمظاهرات ضد البريطانيين، في فترة الكتاب الأبيض، فإنك ترى شعار 'دولة عبرية، هجرة حرة'. بل تحدثوا عن 'أمة عبرية'. والتعبير المتعارف عليه للوجود اليهودي في فلسطين كان 'اليشوف العبري'. ونحن الآن نجلس في الجامعة العبرية وليس في الجامعة اليهودية. وفي ذلك الحين حاولت الحركة الصهيونية قول ما يلي: اليهودي في الشتات قدم إلى الوطن وأصبح عبريا. وأحد أسباب ذلك هو أن المهاجرين أصبحوا يتحدثون العبرية. ولذلك أرادوا

تحويل الهوية اليهودية إلى هوية عبرانية. وحتى أن [زعيم الحركة التنقيحية الصهيونية زئيف] جابوتينسكي عندما تحدث أمام لجنة بيل، فإنه تحدث عن دولة عبرية. وقد استخدم هذا التعبير بشكل دائم. وهذا نابع من رغبة الصهاينة في التأكيد على الناحية القومية وليس الناحية الدينية».

(*) سؤال: إن كل من يتابع الأحداث والتطورات السياسية في إسرائيل، يعرف، مثلاً، أن نتنياهو لم ينف أبداً حتى اليوم الأفكار التي يطرحها وزير خارجيته أفيغدور ليبرمان، حول تبادل الأراضي والسكان. بل إنه قال عندما تطرق إلى الموضوع إن الحكومة ناقشت هذه الأفكار؟

يعقوبسون: «ربما هذا صحيح. لكن نتنياهو شجب بشدة عريضة الحاخامات التي تحظر بيع أو تأجير البيوت للمواطنين العرب في إسرائيل».

(*) سؤال: صحيح أنه ندد، لكن أقواله لم تكن حازمة بالشكل المطلوب. وما أدى إلى تصاعد الضجة والمعارضة لعريضة الحاخامات، وتراجع عدد من الموقعين عليها، هو التنديد الشديد بها من جانب الزعيم الروحي للحريديم الأشكناز، الحاخام يوسف شالوم إلياشيف.

يعقوبسون: «أنظر، الحريديم مهمون في السياسة [الداخلية]، لكن أفكار نتنياهو مختلفة عن أفكارهم. وأنا لست واثقاً من هو الأفضل أو الأسوأ. ولنعد إلى التاريخ قليلاً. فكرة الصهاينة هي أنهم كانوا يريدون إقامة دولة علمانية. وهذا لا يعني أن دولة كهذه ستكون ليبرالية أكثر من الدولة اليهودية. فالفاشية كانت علمانية أيضاً. الآن تحليلي الشخصي- وهذا ليس تحليل إلياشيف أو ليبرمان لكن ربما نتنياهو... فأنا لا أعرف ما هو تحليل نتنياهو- هو أن الدولة اليهودية والدولة التي تمنح استقلالاً قومياً للشعب اليهودي هي التي تختزل تعريف 'الدولة اليهودية'، وهذا التعريف لا يعني أبداً عدم وجود غير يهود في هذه الدولة، وهذا لا يعني حكم الشريعة اليهودية ولا حكم الدين اليهودي. وأنا لا أدعي بأن الدين اليهودي ليس مرتبطاً بهذا الموضوع. وواضح أن ثقافة هذه الدولة مرتبطة بالديانة اليهودية.

ومن الناحية التاريخية، فإن الفرق بين الديانة اليهودية وبين الديانتين المسيحية والإسلامية هو أن المسيحية والإسلام هما ديانتان لشعوب عديدة، بينما اليهودية هي ديانة شعب معين. وبالنسبة للعلمانية فأنا أرى أن اليهودية هي الثقافة التقليدية لليهود، وهي ليست الثقافة العصرية الوحيدة لديهم. ولا أنفي وجود علاقة معينة بين الشعب اليهودي والديانة اليهودية، لأن هذه هي الثقافة التقليدية وهي حصرية لليهود. والثقافة التقليدية لكل الشعوب هي ثقافة دينية. لكن، رغم أن الديانة اليهودية هي الثقافة التقليدية لليهود، إلا أن هذا لا يلزمني اليوم، في الدولة اليهودية العصرية، بإعطاء الحكم للديانة اليهودية. هناك أمور دينية قد أقبلها، مثل أن يوم السبت هو يوم العطلة الأسبوعية لكني لن أقبل بالمضمون الشرعي اليهودي ليوم السبت. وأنا كيهودي عصري آخذ من التقاليد اليهودية ما أريده، ولا آخذ أموراً أخرى. والحدود بين ما هو ديني وما هو ليس دينياً هي حدود إشكالية بالنسبة للإنسان العصري».

الاعتراف الفلسطيني سيساعد في التوصل إلى سلام

(*) سؤال: نتنياهو يطالب الفلسطينيين بالاعتراف بإسرائيل على أنها «دولة يهودية» أو «دولة الشعب اليهودي». وهذا مطلب يتعارض مع المنطق السياسي. إضافة إلى ذلك هناك كل القوانين التمييزية ضد العرب التي يجري سنّها في الكنيست، مثل قانون المواطنة، الذي يطالب الذين يريدون الحصول على المواطنة بالتصريح بالولاء لإسرائيل «اليهودية». والآن يجري إعداد مشروع قانون يشترط التصريح بالولاء لإسرائيل «اليهودية» من أجل استصدار كل فتى يبلغ ١٦ عاماً بطاقة هوية. فكيف بالإمكان الاعتراف بـ«دولة يهودية» بينما في الخلفية كل هذه الأمور التمييزية؟

يعقوبسون: «يوجد هنا سؤالان مختلفان: الأول هو كيف أنا كمواطن إسرائيلي وكيهودي إسرائيلي أرى النظام وما إذا كنت أؤيد أو أعارض دولة يهودية والقوانين الأساس؟ والسؤال الثاني هو هل يجب أن أطلب من جهة خارجية أن تعترف بهذا؟. ومثلاً، فإن أبو مازن [الرئيس الفلسطيني محمود عباس] يقول للإسرائيليين إن تعريفكم لأنفسكم هو شأنكم وأنا لست ملزماً بالاعتراف بأي شيء سوى بالاسم الرسمي للدولة. وإذا كنتم تسمون أنفسكم دولة إسرائيل فإني أعترف بدولة إسرائيل. ورد الفعل هذا من جانب أبو مازن يأتي متجانساً مع الأعراف الدولية. وهو محق من ناحية السوابق الدبلوماسية. فجميع اتفاقيات السلام لا تتطرق إلى النظام الداخلي. وعندما صنعنا السلام مع مصر لم نعترف بالإسلام على أنه دين الدولة، كما أننا لم نطالب بذلك.

ومن الناحية التاريخية، فإن الفرق بين الديانة اليهودية وبين الديانتين المسيحية والإسلامية هو أن المسيحية والإسلام هما ديانتان لشعوب عديدة، بينما اليهودية هي ديانة شعب معين. وبالنسبة للعلمانية فأنا أرى أن اليهودية هي الثقافة التقليدية لليهود، وهي ليست الثقافة العصرية الوحيدة لديهم. ولا أنفي وجود علاقة معينة بين الشعب اليهودي والديانة اليهودية، لأن هذه هي الثقافة التقليدية وهي حصرية لليهود. والثقافة التقليدية لكل الشعوب هي ثقافة دينية. لكن، رغم أن الديانة اليهودية هي الثقافة التقليدية لليهود، إلا أن هذا لا يلزمني اليوم، في الدولة اليهودية العصرية، بإعطاء الحكم للديانة اليهودية.

فهذا شأن مصري داخلي. وقد اعترفنا بعروبة مصر لأن هذا هو الاسم الرسمي لهذه الدولة ونحن صنعنا سلاما مع 'جمهورية مصر العربية'. وبالمناسبة يوجد اقتراح بإطلاق اسم 'دولة إسرائيل اليهودية' على إسرائيل. وكان رأيي دائما فيما يتعلق بتعريف 'الدولة اليهودية' هو أن هذا تعريف مبرر وفقاً لتحليلي حيال الدولة اليهودية. لكن المحكمة العليا هي المخولة بتفسير هذا التعريف. وهي تتحدث عن تأثير الثقافة اليهودية، وأعتقد أن المحكمة تقول أموراً قريبة من تحليلي.

وأنا اعتقدت دائما، منذ بداية عملية السلام، أنه لا ينبغي مطالبة الفلسطينيين بالاعتراف بالدولة اليهودية، لأني كنت أفكر مثلما يقول أبو مازن. لكن علي أن اعترف بأنني غيرت رأيي قليلاً والسبب هو 'مبادرة جنيف'. فقد اجتمع مندوبون إسرائيليون وفلسطينيون، لا أقول إنهم يمثلون القيادة في الجانبين، لكنهم ليسوا أشخاصاً عاديين وإنما ينتمون للقيادات في الجانبين. ويظهر في الاتفاق الذي توصل إليه الجانبان في 'مبادرة جنيف' أن الجانب الإسرائيلي يعترف بحق الشعب الفلسطيني بدولة والجانب الفلسطيني يعترف بحق الشعب اليهودي بدولة. فإذن الاعتراف هو متبادل وليس من جانب واحد. وأنا أعتقد أنه لا توجد حاجة لذلك، لكن إذا كان الوضع هو أنه يوجد مندوبون فلسطينيون ويقولون إن هذا ممكن، فإن هذا سيساعد في التوصل إلى سلام، من دون التطرق إلى نوايا بيبي [نتنياهو]. وأنا أقول هذا كشخص لا يؤيد بيبي وإنما أؤيد التوصل إلى اتفاق سلام وحل الدولتين وعاصمتين في القدس وأرى أن هذا مصلحة إسرائيلية وأن هذا هو العدل.

لكني أقول إنه إذا كان هناك اعتراف فلسطيني بصيغة 'مبادرة جنيف' فهذا سيساعد في إقناع الجمهور اليهودي بأننا نسير نحو مصالحة حقيقية. ونحن نعرف أن الصراع مع الفلسطينيين، خلافا لمصر وسورية، هو صراع بين شعبين وحركتين قوميتين على بلاد واحدة. ولذلك فإن صيغة مبادرة جنيف، وهي صيغة التبادلية، ستساعد في التوصل إلى تسوية. لكني لا أعتقد أن هذا يجب أن يكون شرطاً. وعلى سبيل المثال، إذا توصل الإسرائيليون والفلسطينيون إلى اتفاق حول كافة قضايا الحل الدائم، وهذا ليس بالأمر السهل، فإني لا أعتقد أنه ستكون هناك حكومة في إسرائيل ستقول إنها لن توقع على اتفاق طالما أن الفلسطينيين لا يعترفون بالدولة اليهودية. وبيبي لا يقول إن هذا شرط للمفاوضات وإنما هو شرط لاتفاق. رغم ذلك فإني أعتقد أن الاعتراف بالدولة اليهودية هو أمر مرغوب فيه. وأنا أحترم الموقف الذي يعبر عنه أبو مازن، لكن عندما أسمع أن المطالبة بالاعتراف بالدولة اليهودية هي أمر عنصري وغير شرعي فإن هذا يقول لي إنه يوجد هنا نفي للشعب اليهودي، لأنه عندما ترفض الدولة اليهودية وفقاً لتحليلي فإنك تقول، مثلما قال عزمي بشارة: «أنتم لستم شعبا».

(*) سؤال: حتى اليوم لا يوجد حسم حول مسألة «من هو اليهودي». فإذن كيف يمكن وصف شيء، مثل دولة أو كيان، بأنه يهودي؟

يعقوبسون: «ليس فقط أنه لا يوجد حسم، وإنما أيضاً لا يمكن أن يكون هناك حسم. والحسم في هذه المسألة هو حسم ديني، أو في المجال الديني. وأعود هنا إلى ما قلته سابقاً بأن اليهودية هي الثقافة التقليدية. وأنا كإنسان عصري بإمكاني أن أقبل بعشرة بالمئة أو صفر بالمئة من هذه الثقافة. وقد أكون ملحداً. لكن لا أحد بإمكانه القول أنني لا أنتمي للشعب اليهودي. وحتى المتدينون اليهود لا يقولون هذا. لكن ماذا يجب أن يفعل شخص يريد الانتساب إلى الشعب اليهودي. وهذه مسألة لا شأن للعرب فيها، لأن الأقلية العربية في إسرائيل لا تريد الانصهار في اليهودية. وبحق فهم سكان أصلانيون وليسوا مهاجرين إلى هذه البلاد...».

وهناك أنظمة في العالم أسوأ بكثير من النظام الإسرائيلي ولا يمكننا العيش فيها، وهناك أنظمة ما كانت ستسمح لك بالجلوس هنا أو حتى بالوجود في الدولة. وهذا لا يعني أنه من أجل ذلك، مثلما يقول بعض الإسرائيليين، أن على كل من ينتقد إسرائيل أن يغلق فمه ولا ينتقدنا. وإسرائيل لم تطلب من الفلسطينيين أن يقولوا إنهم راضون من النظام الإسرائيلي. كذلك فإنه ليس صحيحاً القول إن الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية هو اعتراف بالأيديولوجيا الصهيونية.

(*) سؤال: ليست هذه هي المشكلة. المشكلة هي أن هناك أشخاصاً في هذا العالم قد يقررون اعتناق الديانة اليهودية، في مرحلة ما، وبعدها يتم اعتبارهم على أنهم جزء من «الشعب اليهودي» وبالتالي يصبح لديهم الحق في الهجرة إلى هنا، بحسب «قانون العودة» لليهود، ويصبح لديهم حق بهذه البلاد، وفقا للمنطق الإسرائيلي، بينما أبناء البلاد لا يحق لهم العودة إليها. كذلك فإنه إذا قرر مواطن عربي في إسرائيل أن يتزوج من مواطنة فلسطينية من رام الله مثلاً فإنه لا يستطيع أن يحضرها إلى البلاد بموجب التعديل على قانون المواطنة الإسرائيلي.

يعقوبسون: «لا علاقة لهذا بموضوع الدولة اليهودية. وقبل الانتفاضة [الثانية] لم يكن هناك قانون كهذا، بل كانت هناك سياسة مختلفة تماماً. وإسرائيل كانت دولة يهودية قبل الانتفاضة أيضاً. ولم ترد هجرة عربية قبل الانتفاضة. وهذا القانون هو نتيجة للانتفاضة. بإمكانك أن تقول إن هذه ذريعة، لكن رغم كل شيء فإن شيئاً ما حدث هنا في العام ٢٠٠٠. وقبل ذلك كانت هناك مشاكل أمنية حقيقية».

(*) سؤال: أعتقد أن إسرائيل استغلت الوضع في أعقاب الانتفاضة.

يعقوبسون: «واضح أنها استغلت الوضع. وقد طلب الشاباك (جهاز الأمن العام) إجراء التعديل على قانون المواطنة بعد مرور عام على اندلاع الانتفاضة ولم يطلب ذلك فوراً. وذلك بعد إلقاء القبض على أشخاص يحملون الهوية الإسرائيلية وكانوا ضالعين في تنفيذ عمليات تفجيرية. وفي العام ٢٠٠١ والعام ٢٠٠٢ إسرائيل كانت في حالة خوف والوضع حينها لم يكن مثل الوضع اليوم.

ولنفترض أن هذا القانون ليس عادلاً بتاتاً، فهل من يعترف بحق الشعب اليهودي بدولة يوافق على كل ما يحدث في هذه الدولة ومع أي حكم إسرائيلي. لا يوجد لهذا أية علاقة. فللشعب الألماني الحق بدولة، فهل هذا يعني أني موافق على جميع الحكومات التي قامت في ألمانيا. وبإمكانك توجيه أشد الانتقادات إلى الحكم الإسرائيلي وبعد ذلك نتجادل فيما إذا كان ذلك مبرراً أم لا. وهذا ينطبق على الشعوب العربية أيضاً. لكن يوجد للشعب حق في تقرير المصير. وبالإمكان توجيه انتقادات لحكومة كهذه أو تلك، وربما أحياناً يجب مكافحة سياستها وحتى أنه في حالات متطرفة بالإمكان تبرير حرب. لكن لا علاقة بين كل هذا وبين حق الشعب اليهودي بدولة. وأنا اعتقد أن من يريد أن ينتقد إسرائيل بصورة أخلاقية، فإنه ليس جيداً أن يخلق شعوراً لدى الجمهور اليهودي بأنه ليس مستعداً للاعتراف بحقوق الشعب اليهودي التي تتماشى مع المبادئ العالمية.

وهناك أنظمة في العالم أسوأ بكثير من النظام الإسرائيلي ولا يمكننا العيش فيها، وهناك أنظمة ما كانت ستسمح لك بالجلوس هنا أو حتى بالوجود في الدولة. وهذا لا يعني أنه من أجل ذلك، مثلما يقول بعض الإسرائيليين، أن على كل من ينتقد إسرائيل أن يغلق فمه ولا ينتقدنا. وإسرائيل لم تطلب من الفلسطينيين أن يقولوا إنهم راضون من النظام الإسرائيلي. كذلك فإنه ليس صحيحاً القول إن الاعتراف بإسرائيل كدولة يهودية هو اعتراف بالأيديولوجيا الصهيونية».

الاعتراف مرغوب لكنه ليس شرطاً!

(*) سؤال: بالمناسبة، مشروع القانون الذي قدمه حزب «إسرائيل بيتنا» كان ينص على أن يصرح كل من يطلب الحصول على المواطنة بالولاء لإسرائيل «كدولة يهودية وصهيونية».

يعقوبسون: «أنا أعتقد أن الاعتراف بإسرائيل أنها دولة يهودية هو أمر مرغوب فيه لكنه ليس شرطاً. من جهة أخرى فإن جميع القوانين التي بادر ليبرمان وحزبه إلى طرحها هي قوانين غير شرعية. وهنا أنا لا أتردد أبداً في قول ذلك. وهذه قوانين موجهة نحو الداخل».

(*) سؤال: لماذا يطرح ليبرمان وحزبه

«إسرائيل بيتنا» قوانين تمييزية وعنصرية كهذه؟

يعقوبسون: «توجد أجواء يريد الركوب عليها. وهو سياسي ويحصل على دعم جمهور معين جراء توجهاته هذه».

(*) سؤال: هذا يعني أنه توجد أرضية خصبة تتقبل أفكاره؟

يعقوبسون: «أوروبا كلها مليئة بالأحزاب اليمينية، رغم أنه لا توجد حروب وصراعات هناك. وأنا لا أبرر سياسة ليبرمان. وبرنامجه السياسي الذي طرحه خلال المعركة الانتخابية لم يتحدث عن الأجنبي الذي جاء إلى هنا للحصول على مواطنة وإنما طالب بأن يقسم المواطن الإسرائيلي ابن ألـ ١٦ عاماً بالولاء للدولة. وبداية هو قال إنه يجب قسم الولاء لدولة 'يهودية صهيونية' وبعد ذلك للدولة 'اليهودية والديمقراطية' وذلك لأن لديه مشكلة مع الحريديم فيما يتعلق بالصهيونية. وهذا أمر مرفوض بالمطلق من دون علاقة مع مضمون القسم، لأن المواطن في دولة إسرائيل هو مواطن من حيث حقه بذلك وليس لأن الدول تصنع معروفا له. ولا يمكن اشتراط مواطنته بأي تصريح، وإلا فإنك تمس بمصطلح المواطنة.

وفي الواقع السياسي والقانوني الإسرائيلي لا يمكن أن يحصل أمر كهذا. وهل تعتقد أنه إذا قال عضو كنيست عربي إنه يجب أن تكون إسرائيل جزءاً من الخلافة الإسلامية فإن هذا سيتحقق؟ طبعا لا، وإنما هو يعرف أن قوله هذا سيلقى استحسان عدد من الأشخاص. ولذلك فإن القانون الحالي يطالب الأجانب فقط الذين يريدون الحصول على المواطنة بالتصريح بالولاء لإسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية. وهذا من نوع الأمور التي تطلبها الدول. ففي بريطانيا يتعين على الحاصل على الجنسية البريطانية أن يقسم الولاء للملكة. وأنا شخصياً أعارض ذلك. فعندما يقول شخص ما إنه ضد الاعتراف بدولة يهودية فإنه يخشى أن هذه ستكون دولة تميز ضد غير اليهود. ولذلك أنا أقول إن هذا تصريح أيديولوجي مرفوض».

(*) سؤال: أغلبية السكان اليهود في إسرائيل تعترف أن إسرائيل هي دولة «يهودية وديمقراطية». وقد جرى في إسرائيل نقاش كبير حول تعريف كهذا وما إذا كان ينطوي على تناقض. لكن، برأيك، إذا تم سؤال اليهود الإسرائيليين: ماذا تفضلون، دولة يهودية أم دولة ديمقراطية؟ والدولة الديمقراطية تعني دولة جميع مواطنيها. كيف سيكون ردهم؟

يعقوبسون: «المحكمة العليا أيضا تقول في سياقات معينة إن الدولة الديمقراطية هي دولة جميع مواطنيها. وليس لدي مشكلة مع دولة جميع مواطنيها. كما أن لدي معادلة توضح أن مبدأ دولة يهودية وديمقراطية لا يتعارض مع دولة جميع مواطنيها. لكن سؤالك هو الجمهور اليهودي. وتم، مؤخراً، نشر استطلاع للرأي أجراه 'المعهد الإسرائيلي للديمقراطية' ولم تكن نتائجه جيدة. لكن إحدى النتائج الجيدة فيه، برأيي، تطرقت إلى هذا السؤال. وقال ٤٨٪ إن مصطلحي 'اليهودية' و'الديمقراطية' مهمان بالقدر نفسه. وقال ١٧٪ إن 'الديمقراطية' أهم، و٣٢٪ قالوا إن 'اليهودية' أهم. وبناء عليه، بالإمكان القول إنه لا توجد أغلبية تقول إن 'الديمقراطية' هي القيمة الأهم، كما أنه بالإمكان القول إنه لا توجد أغلبية تعتبر أن 'اليهودية' هي القيمة الأهم.

«وهذه النتائج تأتي في ظل حالة الصراع القومي بين اليهود والفلسطينيين. وعلى الرغم من ذلك فهناك من يقول إنه من الواضح أن 'اليهودية' أهم من 'الديمقراطية' لأنها اليهودية سبقت الديمقراطية. فنحن نقول دولة يهودية وديمقراطية وليس ديمقراطية ويهودية. والآن سأقول لك الحقيقة، وهي أن أي شعب، ومن دون استثناءات، سيفضل وقت الضرورة اختيار التعريف المتعلق بشعبه وقوميته. لكن أغلبية الإسرائيليين اليهود لا تريد التنازل عن الديمقراطية لصالح القومية اليهودية، رغم أن ٣٢٪ الذين يقولون إن 'اليهودية' أهم هي نسبة عالية.

وبرأيي فإن من يحاول في إسرائيل كسر الديمقراطية لصالح اليهودية لن يحظى بتأييد شعبي واسع ولن يحظى بدعم المؤسسة القضائية أيضاً. ولا تنسى أن بين ألـ ٣٢٪ يوجد الحريديم. والحقيقة هي أن الحاخام إلياشيف يعارض الاستفزازات، مثل عريضة حاخامات المدن، لكن يجب ألا يخطئ أحد ويعتقد أنه يؤيد المساواة بين اليهود وغير اليهود، بل إن مصوتي 'أغودات يسرائيل' [حزب الحريديم الأشكناز] يؤيدون انعدام المساواة أكثر من مصوتي حزب «إسرائيل بيتنا»، لكن الخطر حالياً هو «إسرائيل بيتنا» من الناحية السياسية.

أنا أعرف الروس، وأنا شخصياً من أصل روسي، وفي سنوات التسعين كنت عضواً في حزب ميرتس [يسار صهيوني] وقد تحدثت أمام الكثير من الروس، الذين هاجروا لتوهم إلى إسرائيل. وهم دائماً كانوا يتحدثون عن مسألة الولاء. لا تعتقد أن ليبرمان هو الذي اكتشف مسألة الولاء. وأنا أعتقد أن الكثيرين من العرب لا

وبرأيي فإن من يحاول في إسرائيل كسر الديمقراطية لصالح اليهودية لن يحظى بتأييد شعبي واسع ولن يحظى بدعم المؤسسة القضائية أيضاً. ولا تنسى أن بين ألـ ٣٢٪ يوجد الحريديم. والحقيقة هي أن الحاخام إلياشيف يعارض الاستفزازات، مثل عريضة حاخامات المدن، لكن يجب ألا يخطئ أحد ويعتقد أنه يؤيد المساواة بين اليهود وغير اليهود، بل إن مصوتي 'أغودات يسرائيل' [حزب الحريديم الأشكناز] يؤيدون انعدام المساواة أكثر من مصوتي حزب «إسرائيل بيتنا»، لكن الخطر حالياً هو «إسرائيل بيتنا» من الناحية السياسية.

يدركون لماذا [المهاجرون] الروس، الذين جاؤوا بالأمس أصبحوا يقولون للعربي إنه ليس موالياً لإسرائيل. السبب هو أن الروس جاؤوا إلى هنا مع خلفياتهم. فقد كان الاتحاد السوفييتي دولة تفتقر إلى حرية التعبير بشكل متطرف. وليس فقط أنه لم يكن بإمكان المواطن الروسي أن يعارض النظام، وإنما كان يطالب طوال الوقت بالتصريح بالولاء للنظام. ورغم ذلك فإن الاتحاد السوفييتي كان دولة متعددة الأعراق. ولم يكن الاتحاد السوفييتي دولة عنصرية. كان دولة عنصرية تجاه اليهود، وهذا أيضاً كان بصورة غير رسمية. والروس يأتون إلى البلاد ويصطدمون بأسلوب خطابة قيادة الأقلية العربية، مثل تأييد [أمين عام حزب الله حسن] نصر الله فيما الصواريخ كانت تتساقط على حيفا. ولم يكن بإمكان الروس أن يستوعبوا كيف بالإمكان أن يحدث أمر كهذا.

لكن من يعرف الوضع في البلاد يعرف أن الأقلية العربية هي أقلية هادئة للغاية. الدولة لم تتعامل بمساواة مع العرب في إسرائيل وإنما ميزت ضدهم. لكن الروس لا يفهمون هذه الأمور. وأنا لا أتحدث عن العنصريين وإنما عن الإنسان العادي. وليبرمان يستغل هذا الوضع، رغم أني أعتقد أن ليبرمان يعرف حقيقة الوضع في إسرائيل تماماً. وليكن واضحاً أن الروس، والكثيرون منهم ليسوا يهوداً، لن يؤيدوا انعدام المساواة والتمييز، ولهذا السبب ركز ليبرمان على مسألة الولاء التي تلقى دعماً كبيراً لدى هذا الجمهور».

خطاب قيادة الأقلية العربية وخطاب ليبرمان يمسان بالعلاقات بين اليهود والعرب

(*) سؤال: ربما ليبرمان أصبح أكثر القياديين الإسرائيليين الذين يمثلون توجهات اليمين. فما الذي يريده؟

يعقوبسون: «إنه بالأساس يريد الحصول على أكبر كمية من الأصوات في الانتخابات المقبلة. وهو يعتقد، ربما، أن بإمكانه أن يحقق اعتدالاً معيناً في خطاب قيادة الأقلية العربية في إسرائيل، الذي يمس، برأيي، بصورة كبيرة بالعلاقات بين اليهود والعرب».

(*) سؤال: وخطاب ليبرمان ألا يمس بالعلاقات بين اليهود والعرب؟

يعقوبسون: «وخطاب ليبرمان أيضاً، بكل تأكيد. خطابه يمس بالعلاقات بين اليهود والعرب داخل إسرائيل. وكل القوانين التي يطرحها لن تجعل العرب صهاينة أو أقل وطنية لعروبتهم».

(*) سؤال: خطاب ليبرمان واليمين الإسرائيلي يتغلغل لدى المواطن العادي.. واستطلاعات الرأي العام تؤكد ذلك...

يعقوبسون: «أعتقد أنه في كل لحظة توجد نسبة من اليهود الذين لديهم أجوبة متطرفة على الأسئلة التي تطرحها الاستطلاعات، وأحياناً يشكلون أغلبية وفي أحيان أخرى يشكلون أقلية. لكن سلوكهم في صندوق الاقتراع لا يكون وفقاً لهذه الإجابات. رغم ذلك فإني لا أنفي وجود توجهات عنصرية في إسرائيل ضد العرب. وكل هذا مرتبط بالصراع. لكني أعتقد أنه لا يوجد احتمال بأن يصل أشخاص مثل ليبرمان إلى الحكم. ربما أنا شخص متفائل».

(*) سؤال: المشكلة ليست ليبرمان وحده، وإنما أفكار اليمين الإسرائيلي بشكل عام. فاليمين العقائدي، وعلى رأسه رئيس الكنيست رؤوبين ريفلين، يعارض الانسحاب من الضفة الغربية.

يعقوبسون: «نعم هذا صحيح. لكن ريفلين مثلاً يدعو إلى منح الجنسية الإسرائيلية للفلسطينيين في الضفة. وهناك آخرون مثله. وهؤلاء يمثلون اليمين الليبرالي. لكن هذا لن ينجح، فهو يريد إبقاء قطاع غزة خارج الدولة لأنه يريد أن تكون هنا أغلبية

يهودية. أي أنه يستفيد من أوسلو ومن فك الارتباط معاً. وهو يطرح فكرة 'أرض إسرائيل الممتازة': مع الضفة الغربية وبدون غزة. لكن هذا غير واقعي لأنه لن تكون هناك دولة تشمل الضفة ولا تشمل غزة. والجمهور اليهودي بغالبيته الساحقة لن يوافق على ذلك لأنه يرفض منح الجنسية الإسرائيلية للفلسطينيين في الضفة. وفي المقابل فإن أغلبية الجمهور اليهودي تؤيد قيام دولة فلسطينية في الضفة والقطاع. والجميع يقولون إن الجمهور اليهودي تحرك نحو اليمين، لكنه في الواقع تحرك إلى اليمين من الناحية العاطفية وليس من ناحية المواقف السياسية. وأنا لا أقول أنه جمهور يساري. لكن في الماضي كان الجمهور اليهودي بغالبيته الساحقة يرفض أي حديث عن تقسيم القدس، لكن اليوم يتحدثون بشكل واسع عن هذه الإمكانية، في إطار اتفاق سلام طبعاً. وبالمناسبة، الوضع اليوم من ناحية الاستعداد للانسحاب من الضفة والقدس أفضل مما كان عليه في فترة أوسلو وقبلها. وأنا لست واثقا من أن إسحق رابين كان يؤيد الانسحاب من القدس. وبعد اغتياله قالت زوجته إن 'إسحق قال دائماً إن القدس ستبقى موحدة'. وما أريد قوله هو أنه فيما يتعلق بالتنازلات الإقليمية فإن الجمهور اليهودي هو أكثر يسارية مما كان عليه في أوقات سابقة».

(*) سؤال: يوجد أمر مثير للانتباه في إسرائيل، وهو أنه إذا نظرت إلى إسرائيل بشكل شمولي، فإنك ترى أن الإسرائيليين يتحدثون، دائماً، حول موضوع العرق والقومية اليهودية، وذلك في سياق النظرية العرقية. ما رأيك؟

يعقوبسون: «توجد في الديانة اليهودية قدرة كامنة من العنصرية وقدرة كامنة من العداء للعنصرية. والقدرة العنصرية هي أنها ديانة لمجموعة عرقية معينة، بينما المسلم يقول 'إخواني المسلمين' لأنهم إخوانه في الإيمان. واليهودية ليست ديانة عالمية، أي أنها ليست ديانة شعوب وإنما هي ديانة لشعب واحد. وبالإمكان القول إن اليهودية هي ديانة مختلفة عن الديانتين السماويتين الأخريين لجهة السلب والإيجاب أيضاً. والناحية السلبية هي أننا مجموعة عرقية والأخوة هم أخوة في العرق والدين، والحدود العرقية والدينية هي الحدود ذاتها. وهذه حالة إشكالية. لأنه في الإسلام والمسيحية بالإمكان تليين الأصولية والسلفية الدينية بواسطة الوحدة الوطنية، وبالإمكان تليين القومية بواسطة الدين. لكن من الجهة الأخرى، الإيجابية في اليهودية، هي أنه بالإمكان الانتساب لليهودية. وإذا تهودت فإن العرق نفسه ليس مهما. لكن الديانة اليهودية لا تطمح إلى إنقاذ البشرية كلها مثلما تطمح الديانتان الإسلامية والمسيحية. وأعتقد أن دورنا هو أن نمنع إقحام المسائل الدينية في النظام الديمقراطي في إسرائيل».

مهند مصطفى (*)

تسييس الأحزاب الحريدية وصهينتها
[حالة حركة شاس الدينية]

مقدمة

يهدف هذا المقال إلى رصد المشاركة السياسية للمتدينين اليهود (لاحقاً: الحريديم) في إسرائيل في السياسة الإسرائيلية، ورصد أثر هذه المشاركة على تسييس الخطاب الديني وصهينته. وتأتي أهمية هذا الموضوع من حضور الصراع الديني العلماني في المجتمع الإسرائيلي حول قضايا مثل مكانة الحركة الصهيونية، هوية الدولة، وعلاقة الدين بالدولة. وأشارت الكثير من الأبحاث إلى الصراع بين التيارين الحريدي والصهيوني حول الخلاص اليهودي، قبل نشوء الحركة الصهيونية كجزء من صعود الحركات القومية في أوروبا والتي بحثت عن حل سياسي للمسألة اليهودية بعيداً عن الحلول الثيولوجية الدينية ذات الأبعاد المسيانية الغيبية التي تنتظر خلاص اليهود بقدوم المسيا (المسيح المخلص) وجمع الشتات، وهي بنظر التيار الأرثوذكسي عملية سماوية وغير أرضية وخارج التاريخ، لهذا اعتبرت الأرثوذكسية اليهودية الحركة الصهيونية مسيانية كاذبة وخطيئة كبيرة، لأنها تحاول اختزال الزمان اليهودي من خلال فعل أرضي وداخل التاريخ. قامت الحركة الصهيونية باختزال للتاريخ اليهودي في طرحها حلا للمسألة اليهودية قبل قدوم المسيا وجمع الشتات، ولم تنتظر خلاص اليهود بانتظار قدوم زمان وتاريخ المسيا، وقد اعتبرت الحركة الصهيونية أن أحد ركائز مشروعها الفكري هو نفي المنفى من خلال جمع الشتات ضمن عملية كولونيالية استيطانية في فلسطين، وليس بفعل ميتافيزيقي غيبي كما تنظر له الأرثوذكسية اليهودية خارج التاريخ، والتي اعتبرت حتى عودة اليهود الى فلسطين هي حالة منفى لأن الزمان لم يحن بعد لجمع الشتات والعودة إلى أرض صهيون.[1]

حاول دافيد بن- غوريون بعد قيام الدولة أن ينظم العلاقة بين الحريديم وبين الدولة، إذ اعتبر بن-غوريون أن استيعاب المجموعة الحريدية هو هدف استراتيجي للحركة الصهيونية، ذلك بأنه سينهي

(*) طالب دكتوراه- مدرسة العلوم السياسية، جامعة حيفا.

من خلال ذلك أكبر معارض للحركة الصهيونية في صفوف اليهود الذين هددوا المشروع الصهيوني والهجرة إلى فلسطين، ومن جهة أخرى بدأ الحريديم يتعاملون مع الدولة الجديدة، التي استطاعت أن تبهر يهود العالم بقيامها، وبذلك أضعفت الحركة الصهيونية الادعاء الديني المسياني لليهود الحريديم، حيث ان الحريديم الذين تبعثرت مراكزهم في أوروبا في أعقاب الكارثة اليهودية وجدوا في الدولة الجديدة مركزاً جديداً لنشاطهم الديني، ولهذا استجابوا لتوجه الدولة وبن- غوريون للاندماج في الدولة الجديدة، فمقابل هذا الاندماج منحوا امتيازات ووعود منها: تعليم مستقل عن التعليم الحكومي الرسمي، محاكم دينية، عدم صياغة دستور للدولة وغيرها من الامتيازات.

أدى هذا التفاعل بين الحركة الصهونية من جهة وبين التيار الديني من جهة أخرى، والتفاعل بين المتدينين كمجموعة وبين الدولة كنظام سياسي، إلى صيرورتين مهمتين في التاريخ اليهودي الحديث، فأدى إلى صهينة الدين وتسييسه من جهة، وإلى تديين الصهيونية وتهويدها من جهة أخرى. وانبثق عن هذه العملية تيار ديني قومي متطرف، وهو تيار الصهيونية الدينية، الذي لا يعتقد أن الشعب اليهودي يجهز لقدوم المخلص، بل هو ينفذ الخلاص بنفسه، وتمثل حركة غوش إيمونيم ذروة هذه العملية الفكرية والسياسية. والحقيقة أن نتائج حرب ١٩٦٧ والتحولات الفكرية في التيار الصهيوني الديني لم تعد ترى أهمية اختزال الزمن اليهودي فحسب، بل تعتقد أيضاً أنها قامت بنفيه وأنها تقوم بعملية الخلاص حتى قبل قدوم المسيح المخلص. أما العملية الثانية فهي عملية «تطبيع وتسييس» مكثفة جرت في صفوف المجموعة الدينية الحريدية استمرت لعقود بعد قيام الدولة، كانت ذروتها في قيام حركة شاس الحركة الدينية الأرثوذكسية الشرقية، التي اندمجت بشكل أكثر سهولة ثيولوجياً وواقعياً من باقي التيارات الدينية الحريدية الإشكنازية في الدولة اليهودية. في هذا المقال سيتم التطرق إلى التحول الثاني، أي تطبيع التيار الحريدي وتحديداً المشاركة السياسية لحركة شاس، من خلال فهم الديناميكيات السياسية والاجتماعية التي أدت إلى اندماج الحركة في الحياة السياسية وتعميق هذا الاندماج بعد ذلك.

حركة «شاس»: جدلية الديني، الإثني والطبقي

عبرت حركة شاس (اتحاد السفارديم- الشرقيين- حراس التوراة) من خلال قيامها وتأسيسها عن عملية احتجاج على مؤسستين،

شاس: زمن إيلي شاي

الأولى: المؤسسة الدينية الاشكنازية المتمثلة في حركة «أغودات يسرائيل»، والمؤسسة الثانية هي المؤسسة السياسية- الاجتماعية الاشكنازية. ويعبر اسم الحركة الذي يجمع بين الانتماء الطائفي (الشرقيون) والديني عن الأسس الاجتماعية- الدينية التي حاولت هذه الحركة الاستناد إليها عند قيامها.[٢] ويعتقد البروفسور الإسرائيلي شموئيل أيزنشتات أن شاس هي من نتاج البلاد- أزرق وأبيض (بمعنى أنها لم تتأسس في الخارج- المنفى بالمفهوم الثيولوجي- السياسي- كما الحريديم الاشكناز)، وتعرض برنامجاً ضد جبهتين، ضد الهيمنة الدينية الاشكنازية من جهة، وضد البرنامج الثقافي اليوتوبي للصهيونية من جهة أخرى.[٣]

خطت حركة شاس الخطوة السياسية الأولى في العام ١٩٨٣، عندما شاركت في الانتخابات المحلية لبلديات القدس، بني براك وطبريا. وقد قام أعضاء حركة شاس من طلاب المدارس الدينية بالتنافس والعمل في هذه الانتخابات، وشكلت هذه الانتخابات الانطلاقة السياسية الأولى لـ «شاس».[٤] وبعدها عمقت الحركة من مشاركتها في السياسة المحلية والقطرية على حدّ سواء.[٥] وهكذا تحولت حركة شاس إلى الحركة السياسية الشرقية الوحيدة التي استطاعت أن تبقى فاعلة في السياسة الإسرائيلية كل هذه الفترة. فقد ظهرت حركات شرقية كثيرة قبلها إلا إنها اختفت ولم تستطع الاستمرار والبقاء والتطور كما كانت الحال لدى حركة شاس.[٦]

في الواقع، تعود الجذور الأولى لحركة شاس إلى محاولة قام بها زعيمها الروحي الراب عوفديا يوسيف[٧] في العام ١٩٦٢ لتأسيس حركة دينية- شرقية باسم «نأماني هتوراه» (مخلصو التوراة) وذلك على غرار النموذج الاشكنازي «أغودات يسرائيل»، إلا أن الحركة لم تستطع أن تشق طريقها كحركة جماهيرية شعبية تعبر عن جمهور الشرقيين في إسرائيل، ما أدى إلى اندماج الحريديم الشرقيين في المؤسسة الحريدية الاشكنازية «أغودات يسرائيل». ويعود فشل محاولة الراب يوسيف في تأسيس الحركة في سنوات الستينيات إلى غياب الهوية الشرقية الملبورة في صفوف الشرقيين، بل حاول الشرقيون خلال العقدين الأولين بعد قيام إسرائيل الاندماج في الثقافة الاشكنازية اليهودية المهيمنة، كما أنهم رأوا في الحركة الصهيونية الاشتراكية (حزب مباي) في ذلك الوقت إطاراً طبيعياً لهم كونه الحزب الذي أقام الدولة وقام بترحليهم إلى البلاد، وعمل على استيعابهم في الدولة الجديدة، كما ان الدولة اتبعت خلال هذا العقد سياسات «بوتقة الصهر» لخلق هوية الإسرائيلي، حيث تشكل الثقافة اليهودية- الاشكنازية الثقافة المهيمنة.

كان للقيادة في حركة شاس دور كبير في صعودها، فالي جانب الزعيم الروحي للحركة والشخصية المركزية فيها، الحاخام عوفاديا يوسيف، صعد نجم زعيمها السياسي الحاخام آرييه درعي، وهو شخصية سياسية من مواليد ١٩٥٩، كريزماتية في مقتبل العمر السياسي، واستطاع درعي، خلال فترة قصيرة، ان يقود حركة شاس في عقد التسعينيات وأن يعزز من قوة الحركة حتى أنهى قيادته لها في العام ١٩٩٩ على خلفية إدانته في المحكمة الإسرائيلية.[٨]

يعتقد الباحث الإسرائيلي يوآف بيلد من قسم العلوم السياسية في جامعة تل أبيب أن صعود حركة شاس كانت له علاقة بما يسميه «تقسيم العمل الثقافي» في المجتمع الإسرائيلي، ويدعي بيلد أن جهاز السيطرة الإسرائيلي داخل «الخط الأخضر» وخارجه يتميز بتراتبية عمل ثقافية رباعية تتكون من: الاشكناز اليهود، الشرقيون، الفلسطينيون في إسرائيل والفلسطينيون في الأراضي المحتلة، حيث أن كل مجموعة تتميز بصفات اجتماعية- اقتصادية وبصفات ثقافية- سياسية خاصة بها.[٩] ويشير بيلد إلى أن المجموعة الشرقية بقيت مقارنة مع المجموعة الاشكنازية أقل تراتبية في التدريج الاقتصادي- الاجتماعي. كما تم النظر إليها والتعامل معها على أنها مجموعة ذات ثقافة دونية، وقد استغلت شاس هذا الأمر، وقامت بتفعيل سياسات هوية في صفوف الشرقيين، حيث يفسر «بيلد» صعود شاس السياسي بسبب أن الحركة شكلت رد فعل ضد الاستهتار بالتراث الثقافي الشرقي من طرف مؤسسات المجتمع الإسرائيلي.

يعرف اليهود الشرقيون أنفسهم، في المجمل، بشكل مختلف عن اليهود الاشكناز، وذلك على الرغم من أن الأبحاث تشير إلى تقلص فجوات الهوية والتعريف الذاتي بين الطرفين لصالح الهوية الوطنية الجامعة، إلا أن الفجوة الطائفية بين الشرقيين والاشكناز لا تزال قائمة حتى في صفوف الجيل الثاني من الشرقيين والاشكناز، وإن بدرجات أقل من الماضي.[١٠]

جدول يوضح العلاقة بين الأصل وبين الهوية الدينية في المجتمع اليهودي (بالنسبة المئوية)

	الشرقيون	الاشكناز
حريديم	٥	٦
متدينون	١٣	١٠
محافظون	٤٧	٢١
علمانيون	٣٥	٦٣
المجمل	١٠٠	١٠٠

المصدر: بيرس وبن رفائيل، ٢٠٠٦، ص: ١١١.

إلى جانب الفجوة بين الهوية الثقافية والاجتماعية بين الشرقيين والاشكناز اليهود، يشير الجدول أعلاه إلى اختلاف الهوية الدينية بين المجموعتين، فغالبية الشرقيين في إسرائيل يعرفون أنفسهم كمحافظين من حيث الهوية الدينية (٤٧٪) بينما يعرف غالبية اليهود الاشكناز أنفسهم كعلمانيين (٦٣٪) مقابل ٣٥٪ في صفوف الشرقيين. بخلاف الحركات الحريدية الاشكنازية التي حصرت نفسها جماهيرياً وسياسياً في جمهور الحريديم الاشكناز، فإن حركة شاس لاءمت خطابها مع الهوية الدينية المحافظة للشرقيين اليهود، فجاء عملها الاجتماعي براغماتياً، والسياسي راديكالياً وذلك انسجاماً مع مواقف اليهود الشرقيين اليمينية في قضايا السياسة الخارجية والأمن. وعلى هذا الأساس طرحت شاس موقفاً اجتماعيا يسارياً وموقفاً سياسياً يمينياً، وموقفاً دينياً حريدياً لا يرى حرجاً في مخاطبة الهوية الدينية المحافظة للشرقيين. والحقيقة أن تشديد شاس على الهوية الشرقية لم يتم على أرض قاحلة، بل على أرض خصبة، فاليهود الشرقيون هم فئة اجتماعية

تشير الظروف والتطورات التي مرت على حركة شاس من حيث خطابها السياسي والاجتماعي والثيولوجي، ومن حيث تجربتها التاريخية، إلى حضور جدلية الديني- الإثني- الطبقي في الحركة، فقد عبرت الحركة عن خطاب ديني أكثر اعتدالاً من التيار الحريدي الاشكنازي ومؤسسته، سواء في التعاطي مع الدولة أم في التعاطي مع الحركة الصهيونية، وكذلك في التعاطي مع التحولات المجتمعية الداخلية، كما جاءت الحركة على أرضية الصراع الطبقي بين الشرقيين وبين الاشكناز،

فقدت هويتها الأصلية (مثل المغربية، اليمنية والعراقية وغيرها) وأصبحت تشدد على هويتها من خلال اتجاه تقليدي ومحافظ، مقابل المؤسسة الاشكنازية.

والحقيقة أن نشأة شاس كحركة حريدية شرقية كانت مختلفة عن نشأة الأحزاب الحريدية الاشكنازية، وفي هذا الصدد يدعي بشارة:

«.. حزبا شاس وأغودات يسرائيل في جذورهما ليسا صهيونيين، وهما لا يريان في إقامة الدولة اليهودية فرضاً دينياً، بل كانا ينظران الى الدولة اليهودية على أنها دولة غير دينية، وكان حزب أغودات يسرائيل لا يقبل بها. وحزب شاس هو حزب حديث وخلافاً لحزب أغودات يسرائيل لم يتورط في النقاش التاريخي بين اليهودية الأرثوذكسية والصهيونية. وقد ولج السياسة بعد ان تبلورت العديد من الحلول الوسط بين التيارين. كما أن الأرثوذكسية الشرقية لم تكن أصلاً معادية للصهيونية، بل غالباً ما كانت ودودة لها.... (بينما) حزب أغودات يسرائيل كان ينتمي الى تقليد كبير وجذري وعارض قيام دول إسرائيل على اعتبار أن قيامها مرتبط بقدوم المسيح وقيامها بفعل حركة سياسية علمانية كالحركة الصهيونية هو تعجيل للنهاية ومخالف للارادة الإلهية».[11]

أكثر من ذلك، اعتبر الباحثان سلطان طيفة وروني باوم أن شاس تبنت عملياً البرنامج السياسي لحزب الليكود، وذلك بهدف جذب اليهود الشرقيين إلى صفوفها، وقام الباحثان بتسمية حركة شاس «ليكود مع كيبا (قبعة الرأس الدينية لليهود)».[12] وقبل اقتراب شاس سياسياً من برنامج الليكود فقد مثلت اجتماعياً تلك الفئات المتضررة من اليهود الشرقيين التي خاب ظنها من الليكود أيضاً من الناحية الاجتماعية بسبب سياساته الاقتصادية الليبرالية. وقد أيد اليهود الشرقيون حزب الليكود، في أواخر السبعينيات والثمانينيات، لأنهم تضرروا اجتماعياً واقتصادياً من حزب العمل.[13] ثم استمروا بتأييد الليكود بسبب مواقفه السياسية وأقل بسبب مواقفه الاجتماعية.

تشير الظروف والتطورات التي مرت على حركة شاس من حيث خطابها السياسي والاجتماعي والثيولوجي، ومن حيث تجربتها التاريخية، إلى حضور جدلية الديني- الإثني- الطبقي في الحركة، فقد عبرت الحركة عن خطاب ديني أكثر اعتدالاً من التيار الحريدي الاشكنازي ومؤسسته، سواء في التعاطي مع الدولة أم في التعاطي مع الحركة الصهيونية، وكذلك في التعاطي مع التحولات المجتمعية الداخلية، كما جاءت الحركة على أرضية الصراع الطبقي بين الشرقيين وبين الاشكناز، حيث يعاني الشرقيون من دونية اقتصادية وطبقية في كل المجالات مقارنة مع اليهود الاشكناز، كما تميز جمهور الحركة بميزته الإثنية، كون غالبية مؤيدي الحركة هم من الشرقيين اليهود، وواضح أن هناك تقاطعاً مباشراً بين البعد الإثني والبعد الطبقي في الأساس السياسي للحركة، ف غالبية الشرقيين يندرجون أسفل الاشكناز في التدريج الاقتصادي- الاجتماعي. وفي المبحث التالي سوف نركز على البعد السياسي وتحولاته في الحركة.

يشير عالم الاجتماع الإسرائيلي باروخ كيمرلينغ إلى أن شاس تستعرض اليهودية في ثلاثة مشاهد، كدين، كتراث وكقومية. ويتركب جمهور مؤيدي الحركة من ثلاث دوائر: الحريدية الشرقية، المؤيدون المحافظون الذين يقيمون الفروض الدينية الأساسية، والمؤيدون العلمانيون الذين يرون فيها حركة اجتماعية مهمة. وعلى هذا الأساس لا تطلب الحركة من مؤيديها أن يتحولوا إلى حريديم (متدينين متزمتين) أو أن يقوموا بتغيير جذري في نمط حياتهم وهو ما يميزها عن الأحزاب الحريدية الاشكنازية، ويجعل منها حركة دينية حريدية متميزة في التاريخ اليهودي عموما.[14]

صعود شاس وتحولات خطابها السياسي

يشير الباحثان الإسرائيليان بيلد وشفير إلى أن حركة شاس جذبت منذ البداية توجهات سياسية ويمينية وليس فقط مثلت مركز جذب

اجتماعي، ويدللان على ذلك بادعاء الظهور المتوازي لكل من حركة شاس وحركة «كاخ» برئاسة مئير كهانا في النصف الأول من عقد الثمانينيات، حيث توجهت الحركتان إلى جمهور اليهود الشرقيين المتدينين، وفي انتخابات الكنيست ١٩٨٤ وهي المشاركة السياسية الأولى للحركتين في الانتخابات البرلمانية، حصلت حركة شاس على أربعة مقاعد، بينما حصلت حركة «كاخ» على مقعد واحد، وكان التمثيل البرلماني لحركة شاس في هذه الانتخابات هو الأكبر لحركة شرقية في تاريخ إسرائيل حتى ذلك الوقت.[١٥] ويؤكد الباحثان أن إخراج حركة كاخ على القانون أدى إلى زيادة التمثيل الانتخابي لحركة شاس في الكنيست، حيث رأت القواعد الاجتماعية الشرقية التي صوتت لحركة كاخ في حركة شاس عنواناً سياسياً لها. وهذا الأمر يشكل تأكيداً بأن حركة شاس اعتبرت من البداية جزءاً من اليمين الإسرائيلي. ومما يؤكد على هذا التوجه، كما سنراه لاحقاً، هو سلوكيات شاس الائتلافية في الحكومات الإسرائيلية المختلفة، إذ كانت تخرج شاس من الحكومة في الأساس احتجاجاً على قضايا سياسية تتعلق بالصراع مع الفلسطينيين.

حصلت الحركة في انتخابات الكنيست العام ١٩٨٨ على ٦ مقاعد، وبذلك زادت تمثيلها بمقعدين مقارنة مع الانتخابات السابقة، وفي انتخابات ١٩٩٢ حافظت الحركة على قوتها الانتخابية وبقي تمثيلها كما هو في هذه الانتخابات أيضاً. بدأ التحول في قوة شاس في انتخابات الكنيست العام ١٩٩٦، والتي جرت حسب طريقة الانتخابات الجديدة، حيث قام الناخب بالتصويت ببطاقتين، الأولى للبرلمان والثانية لرئاسة الحكومة. وقد ساهمت هذه الطريقة في تعزيز قوة الأحزاب الصغيرة والجهوية على حساب الحزبين الكبيرين اللذين ركزا في الانتخابات على رئاسة الحكومة. هذا الأمر مكن الأحزاب الجهوية ومنها حركة شاس من التوجه بشكل مباشر وأسهل إلى جمهور اليهود الشرقيين، للتصويت لها للكنيست، بينما ركز الليكود على التصويت على رئاسة الحكومة، وبهذا الطريقة استطاع اليهود الشرقيون إرضاء طرفين، حركة شاس من جهة التي عبرت عن هويتهم الطائفية والاجتماعية، والليكود، من جهة أخرى، الذي عبر عن مواقفهم السياسية. «ولأول مرة وجد المواطن الإسرائيلي نفسه مضطراً لاتخاذ قرارين والتعبير عنهما ببطاقتين... التعبير عن الموقف السياسي من خلال التصويت لرئاسة الحكومة من الحزبين الكبيرين التقليديين بحيث يحسم المواطن موقفه مع معسكر سياسي كبير أو ضده، بغض النظر عن الدوافع.. التعبير عن الهوية الجماعية التي ينتمي إليها الفرد ويرغب في أن تمثل في البرلمان، بحيث يتم تمثيل مصالح هذه الجماعة برلمانياً»، وهذا يتم من خلال التصويت لعضوية البرلمان.[١٦]

إذن، وبسبب الطريقة الجديدة فقد ارتفع تمثيل حركة شاس البرلماني من ستة مقاعد إلى عشرة، وذلك على حساب الليكود، فقد صوت اليهود الشرقيون لشاس كتعبير عن هويتهم الجماعية ومصالحهم الاجتماعية، وصوتوا لبنيامين نتنياهو مرشح الليكود كتعبير عن موقفهم السياسي من القضايا السياسية والأمنية. ويضيف الباحثان دورون وربكا ثلاثة أسباب أخرى لنجاح حركة شاس في انتخابات ١٩٩٦، وهي: عمل شبكة الخدمات الاجتماعية التابعة للحركة ونشاطها، الإستراتيجية الانتخابية التي تتبعها الحركة بقيادة آرييه درعي والتي تعتمد على تعزيز العلاقة الروحية بين الناخبين وقيادة الحركة، أما السبب الثالث فهو اتباعها سياسات هوية تجاه اليهود الشرقيين.[١٧]

وعززت شاس تمثيلها بشكل كبير جداً في انتخابات العام ١٩٩٩، والتي جرت أيضاً حسب طريقة البطاقتين بحصولها على ١٧ مقعداً، وفي هذه الانتخابات كثفت حركة شاس من سياسات الهوية في صفوف اليهود الشرقيين، في أعقاب التحقيق والاتهامات التي طالت زعيم الحركة السياسي والكريزماتي آرييه درعي والذي حكم عليه في العام ١٩٩٩ بأربع سنوات سجن بتهم فساد، وقد ادعت شاس أن ملاحقة زعيمها السياسي جزء من الملاحقة السياسية الاشكنازية ضد اليهود الشرقيين، حيث أن نجم آرييه درعي الصاعد أدى بالنخب الإشكنازية لتجريمه، بغرض إيقاف صعوده وصعود حركة شاس، كما وصفت ذلك الحركة.

جدول يبين المميزات الاجتماعية الديمغرافية لمؤيدي شاس والليكود والعمل في العام ٢٠٠٣ (بالنسبة المئوية)

	شاس	الليكود	العمل
الشرقيون	٤٩	٣٩	١٨
الاشكناز	١٢	٢٠	٥٢
الروس	٨	١٨	٨
النساء	٦٣	٤٦	٤٩
ما دون جيل ٣٠	٤٨	٢١	١١
جيل ٥٥ فما فوق	٨	٢٦	٤٤
ثقافة أكاديمية	١٦	٢٦	٣٧

المصدر: ميخال شاليف وغال ليفي، ٢٠٠٤، ص:٢٥٢.

واتخذت حركة شاس في فترة يشاي مواقف يمينية قومية واضحة ليس فقط على صعيد حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ولكن أيضاً اتخذت مواقف يمينية قومية من قضايا الفلسطينيين في إسرائيل، كان آخرها مبادرة ايلي يشاي إلى سن قانون نزع المواطنة عن كل مواطن إسرائيلي (طبعاً يقصد عربي) يدان بأعمال أمنية. وهو بذلك يعبر بشكل واضح عن موقع الحركة اليميني وعن منافسته لليكود ولحزب «إسرائيل بيتنا» في الخطاب الصهيوني القومي، وكذلك الأمر موقف الحركة من موضوع يهودية الدولة،

في انتخابات العام ٢٠٠٣، تراجعت حركة شاس عن تمثيلها البرلماني من ١٧ مقعداً إلى ١١ مقعداً، ويعود هذا التراجع إلى عوامل عديدة منها: إلغاء طريقة الانتخابات الجديدة والعودة إلى الطريقة القديمة (التصويت ببطاقة واحدة) ما أدى إلى عودة قواعد يهودية شرقية واجتماعية أخرى إلى حزب الليكود، ويمكن تفسير هذه العودة أيضاً من خلال العامل الثاني لتراجع الحركة، وهو أن الانتخابات أجريت في ذروة انتفاضة الأقصى، إذ كانت القضية الأمنية والسياسية (وليست الاجتماعية) هي القضية المركزية في معركة الانتخابات، فقد صوت اليهود الشرقيون عموما لحزب الليكود برئاسة أريئيل شارون لأسباب سياسية وليست اجتماعية، وظهرت شاس كحركة اجتماعية بالأساس. أما العامل الأخير فكان التغيير القيادي، إذ خاضت الحركة الانتخابات بدون قائدها الكريزماتي آرييه درعي وإنما برئاسة ايلي يشاي، وكان يشاي أقل جاذبية من درعي بالنسبة للجمهور الشرقي.[١٨]

في انتخابات الكنيست العام ٢٠٠٦، أخطأت استطلاعات الرأي العام الإسرائيلية بالنسبة لقوة شاس، حيث تنبأت باستمرار تراجع الحركة إلى تسعة مقاعد أو حفاظها على تمثيلها بحصولها على أحد عشر مقعداً في الكنيست، إلا أن شاس حصلت على ١٢ مقعداً، وتحولت إلى الحزب الثالث من حيث التمثيل البرلماني في إسرائيل. وفي انتخابات الكنيست العام ٢٠٠٩ حصلت شاس على ١١ مقعداً وتحولت إلى الحزب الخامس من حيث التمثيل البرلماني في الكنيست (بعد أحزاب كاديما، الليكود، إسرائيل بيتنا والعمل).

جدول يوضح نتائج حركة شاس في انتخابات الكنيست مقارنة مع الأحزاب الحريدية الإشكنازية والليكود

	شاس	الحريديم الإشكناز	الليكود
١٩٨٤	٤	٢	٤١
١٩٨٨	٦	٧	٤٠
١٩٩٢	٦	٤	٣٢
١٩٩٦	١٠	٤	٣٢
١٩٩٩	١٧	٥	١٩
٢٠٠٣	١١	٥	٣٨
٢٠٠٦	١٢	٦	١٢
٢٠٠٩	١١	٥	٢٧

المصدر: http://www.knesset.gov.il/description/heb/heb_mimshal_res.htm

عزز إيلي يشاي في العقد الأخير من قيادته السياسية في حركة شاس، وأصبح قائداً أوحد في الحركة من خلال حصوله على ثقة كاملة من الحاخام عوفاديا يوسيف، إلا أن يشاي أخذ شاس إلى يمين الخارطة السياسية أكثر مما فعل آرييه درعي، ويمكن القول إن فترة ايلي يشاي كانت الفترة التي أصبحت فيها حركة شاس حركة يمينية قومية مثل الأحزاب الدينية القومية ومنها المفدال. وكانت شاس عموماً ويشاي خصوصاً يهدفان من هذه الصيرورة التاريخية في العقد الأخير إلى تفادي التراجع الذي كان متوقعاً للحركة في العقد الأول من الألفية الثالثة. فإلغاء طريقة الانتخابات المباشرة والعودة الى الطريقة القديمة، وعودة المصوتين من اليهود الشرقيين إلى الليكود لأسباب سياسية أدى بالحركة إلى تبني خط سياسي أمني راديكالي ويميني وقومي، وبهذا أصبحت شاس في عهد يشاي حركة يمينية

وعلى هذا الأساس وبسبب أن الحركة اعتمدت أساساً في صعودها على اليهود الشرقيين، فإنها استعملت وبكثافة سياسات الهوية في صفوف الشرقيين لتعميق الهوية الشرقية، كما أنها انزاحت في مواقفها السياسية إلى يمين الخارطة السياسية، وذلك استجابة للثقافة السياسية السائدة في صفوف الشرقيين في قضايا السياسة الخارجية والأمن، والتي كان يعبر عنها دائما حزب الليكود، وعلى هذا الأساس كان يحظى منذ أواخر السبعينيات بغالبية أصوات الشرقيين اليهود.

قومية. أما السبب الثاني فله علاقة بانتفاضة الأقصى وتحول المجتمع اليهودي إلى يمين الخارطة السياسية، وهذا أدى بالحركة إلى تبني مواقف يمينية، بعد أن كان الانطباع أن الحركة كانت معتدلة في مسألة الصراع الفلسطيني- الإسرائيلي في عهد آرييه درعي. أما السبب الثالث فهو ظهور «إسرائيل بيتنا» برئاسة أفيغدور ليبرمان وصعوده السياسي بسبب تبنيه مواقف راديكالية في قضايا الصراع عموماً وفي قضية الأقلية العربية الفلسطينية على وجه الخصوص. ففي بحث أجري عن الميزات الثقافية لمصوتي شاس في العام ٢٠٠٣، تبين أن جمهور شاس صعد من كرهه للعرب مقارنة مع انتخابات ١٩٩٩، لا بل إن جمهور الحركة كان أكثر قطاع يكره العرب من بين مصوتي الأحزاب اليهودية والصهيونية الأخرى.[١٩] ويؤكد الباحثان بيلد وشفير، في السياق نفسه، أن شاس تتبنى الخطاب الإثني- القومي للمواطنة الإسرائيلية وخصوصاً في تعاملها مع المواطنين العرب، وهي ليست كما يعتقد كثيرون نوعاً من الحنين للتراث الشرقي القديم أو العزة الطائفية فقط.[٢٠]

واتخذت حركة شاس في فترة يشاي مواقف يمينية قومية واضحة ليس فقط على صعيد حل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي، ولكن أيضاً اتخذت مواقف يمينية قومية من قضايا الفلسطينيين في إسرائيل، كان آخرها مبادرة ايلي يشاي إلى سن قانون نزع المواطنة عن كل مواطن إسرائيلي (طبعاً يقصد عربي) يدان بأعمال أمنية. وهو بذلك يعبر بشكل واضح عن موقع الحركة اليميني وعن منافسته لليكود ولحزب «إسرائيل بيتنا» في الخطاب الصهيوني القومي، وكذلك الأمر موقف الحركة من موضوع يهودية الدولة، ولا تطرح الحركة مفهوم يهودية الدولة من خلال نقاشها مع التيار العلماني اليهودي حول جوهر مفهوم يهودية الدولة، بل تطرحه كضد للهوية الفلسطينية وحقوق الفلسطينيين الفردية والجماعية في إسرائيل. وهذا يدل على أن تعاطي حركة شاس مع يهودية الدولة هو تعاط قومي صهيوني أكثر من تعاط ديني ثيولوجي، على الأقل في هذه المرحلة.

يتبنى مؤيدو شاس مواقف يمينية تجاه الفلسطينيين، ويمكن اعتبار مواقف مؤيدي شاس أكثر تطرفاً، كما ذكرنا سابقاً، من مواقف حزب الليكود، فقد عارض ٧٠٪ من مصوتي شاس تفكيك أية مستوطنة في إطار اتفاق سلام مقابل ٤٠٪ من مصوتي الليكود. كما يعارض ٧٤٪ من مصوتي شاس إقامة دولة فلسطينية مقابل ٤٩٪ من مصوتي الليكود. كما يعارض ٧٥٪ من مصوتي شاس تسليم أراض للفلسطينيين في إطار اتفاق سلام بين الطرفين مقابل ٣٩٪ من مصوتي الليكود.[٢١]

تحولت حركة شاس منذ تأسيسها إلى حزب سلطة، فقد شاركت منذ تأسيسها في غالبية حكومات إسرائيل، ما عدا حكومة شارون ٢٠٠٣- ٢٠٠٦، وذلك بسبب انضمام حزب شينوي العلماني إلى الحكومة، وفي حكومة شمعون بيريس التي شكلها بعد اغتيال إسحق رابين في العام ١٩٩٥، وذلك بسبب توجهاتها السياسية من العملية السلمية ووجود حزب «ميرتس» العلماني فيها. إن مشاركة شاس لغالبية حكومات إسرائيل، يمين (الليكود)، يسار (العمل)، ووسط (كاديما) أو مشاركتها لحكومات وحدة وطنية تدل على البراغماتية السياسية الكبيرة للحركة، إلا أنه في الوقت نفسه، لا بد من التأكيد أن الحركة كانت تحافظ لنفسها على خط رجعة سياسي بالنسبة لبقائها في الحكومة، وذلك عندما ترى ان سياسة الحكومة أو قراراتها تتعارض بشكل واضح مع توجهاتها اليمينية أو بالأحرى مع التوجهات السياسية لقواعدها الاجتماعية. فقد خرجت الحركة من الائتلاف الحكومي برئاسة إسحق رابين في العام ١٩٩٣ بسبب قيام رابين بتوقيع اتفاق أوسلو مع منظمة التحرير الفلسطينية، وانسحبت من حكومة إيهود باراك في العام ٢٠٠٠ بسبب ذهابه للتفاوض على الحل الدائم

مع الفلسطينيين واستعداده لقبول تسوية لا تقبل بها حركة شاس وقواعدها. غير أن حركة شاس في المجمل حركة سلطة وليست حركة معارضة، وتنبع الحاجة لبقائها في السلطة من حاجتها الضرورية إلى الميزانيات لدعم شبكتها التعليمية الكبيرة، ودعم مدارسها الدينية ومؤسساتها الاجتماعية المختلفة. وفي الوقت نفسه حاجتها إلى الوقوف أمام توجهات الأحزاب العلمانية لتقليص الهبات والميزانيات الممنوحة لقواعدها الاجتماعية والدينية، والوقوف أمام محاولات علمانية لخرق حالة الأمر الواقع السائد في علاقة الدين بالدولة الذي أرساه بن- غوريون منذ قيام الدولة. وحتى عندما انسحبت الحركة من حكومة رابين بسبب توقيع اتفاق أوسلو فإنها لم تنضم إلى المعارضة في سعيها لإسقاط الحكومة، إذ تعهد الحاخام يوسيف وآرييه درعي بدعم الحكومة من الخارج، وعدم إسقاطها مقابل استمرار رابين في تمويل المؤسسات التعليمية والدينية التابعة للحركة.[٢٢]

جدول يبين مشاركة شاس في الحكومات الإسرائيلية

الحكومة	الحزب الحاكم	فترة الحكومة	ملاحظات
الحكومة الـ٣٢	الليكود- بنيامين نتنياهو	٢٠٠٩-	جنباً إلى جنب مع حزب يسرائيل بيتينو الروسي العلماني برئاسة ليبرمان
الحكومة الـ٣١	كديما- ايهود اولمرت	٢٠٠٦-٢٠٠٩	جنباً إلى جنب مع حزب يسرائيل بيتينو. أكملت الحركة الفترة الحكومية جميعها.
الحكومة الـ٣٠	الليكود- اريئيل شارون	٢٠٠٣-٢٠٠٦	**الحركة كانت في المعارضة**
الحكومة الـ٢٩	الليكود- شارون	٢٠٠١-٢٠٠٣	شاركت في كامل الفترة الحكومية ما عدا عشرين يوماً
الحكومة الـ٢٨	العمل- ايهود باراك	١٩٩٩-٢٠٠١	استمرت عضوية الحركة في الحكومة حتى ١١/ ٧/ ٢٠٠٠، وكانت شريكة في الحكومة جنباً إلى جنب مع حزب ميرتس.
الحكومة الـ٢٧	الليكود- نتنياهو	١٩٩٦-١٩٩٩	الفترة الحكومية كلّها.
الحكومة الـ٢٦	العمل- شمعون بيريس	١٩٩٥-١٩٩٦	**الحركة كانت في المعارضة**
الحكومة الـ٢٥	العمل- إسحق رابين	١٩٩٢-١٩٩٥	بقيت عضواً في الحكومة حتى ايلول ١٩٩٣.
الحكومة الـ٢٤	الليكود- إسحق شمير	١٩٩٠-١٩٩٢	بقيت الفترة الحكومية كلّها.
الحكومة الـ٢٣	حكومة وحدة وطنية	١٩٨٨-١٩٩٠	بقيت الفترة الحكومية كلّها.
الحكومة الـ٢٢	حكومة وحدة وطنية	١٩٨٦-١٩٨٨	بقيت الفترة الحكومية كلّها.
الحكومة الـ٢١	حكومة وحدة وطنية	١٩٨٤-١٩٨٦	بقيت الفترة الحكومية كلّها.

المصدر: http://www.knesset.gov.il/faction/heb/FactionGovernment.asp

نقاش وخلاصة

عبرت حركة شاس عن ذروة مسار تسييس الخطاب الحريدي وصهينته في المجتمع اليهودي. توجهت الحركة بالأساس إلى جمهور اليهود الشرقيين الذي يحملون هوية دينية محافظة، أي هوية دينية ما بين هويات العلمانية والحريدية التي تميز جمهور الاشكناز. وبذلك فإن شاس جاءت مستغلة حالة الاحتجاج على المؤسستين الاشكنازيتين الحريدية والعلمانية في الوقت نفسه.

وعلى هذا الأساس وبسبب أن الحركة اعتمدت أساساً في صعودها على اليهود الشرقيين، فإنها استعملت وبكثافة سياسات الهوية في صفوف الشرقيين لتعميق الهوية الشرقية، كما أنها انزاحت

في مواقفها السياسية إلى يمين الخارطة السياسية، وذلك استجابة للثقافة السياسية السائدة في صفوف الشرقيين في قضايا السياسة الخارجية والأمن، والتي كان يعبر عنها دائما حزب الليكود، وعلى هذا الأساس كان يحظى منذ أواخر السبعينيات بغالبية أصوات الشرقيين اليهود. فالشرقيون صوتوا لليكود بالأساس لمواقفه السياسية من جهة، ولكونه المعارض الأساس للسيطرة الاشكنازية التي تمثلت في حزب العمل الاشتراكي الصهيوني. وهكذا بدأت شاس تتحول من حركة حريدية بشكل مطلق إلى حركة اجتماعية- سياسية تدمج ما بين اليمين في السياسة واليسار في القضايا الاجتماعية.

لا يعني ذلك أنها تخلت عن كونها حركة دينية، فلا تزال المدارس الدينية التوراتية قائمة وتزدهر وهي أحد أسباب تحول شاس إلى حركة حكم وسلطة وليس حركة معارضة لأنها تعتبر بقاءها في السلطة مهمة في سبيل بقاء مدارسها مزدهرة وقوية اقتصادياً. تتوجه شاس بخطابها إلى جمهورين أساسيين: الجمهور الديني المتزمت، وذلك من خلال استحضار الشرخ الديني العلماني في إسرائيل، وإلى الجمهور اليهودي الشرقي المحافظ من خلال استحضار الشرخ الطبقي بين الشرقيين والاشكناز، إلا أنه مؤخراً نجد أن الحركة بدأت تركز أيضاً في توجهاتها لجمهورها على الشرخ القومي العربي اليهودي كجزء من إستراتيجية الحفاظ على قواعدها الاجتماعية، وقد تعمق هذا التوجه في العقد الأخير.

مرت حركة شاس خلال العقود الأخيرة بتحولات سياسية كبيرة، تدل على صهينة التيار الحريدي وتسييسه في إسرائيل، وهي عملية وإن بدأت بعد حرب حزيران ١٩٦٧، غير أن تجربة حركة شاس تدل على أن تحولها كان أكبر من باقي التيارات الحريدية، إذ إنها تحولت من حركة حريدية كلاسيكية إلى حركة اجتماعية ذات توجهات سياسية قومية صهيونية، على الرغم من موقفها الثيولوجي الثابت من المشروع الصهيوني، إلا أن هذا الجانب من طرح الحركة أصبح خافتاً وغائباً إلى جانب طرحها الاجتماعي والسياسي واستعمالها المكثف لسياسات الهوية. وتبقى هناك حاجة إلى دراسة تأثير هذه العملية على تدين الخطاب الصهيوني وتهويده ثيولوجيا في المقابل، حيث نعتقد أن لعملية صهينة التيار الحريدي تأثيراً مقابلاً أدى إلى تدين الخطاب الصهيوني القومي، ولكن هذا بحاجة إلى دراسة أخرى.

المصادر

بشارة، عزمي (٢٠٠٥). **من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية**. رام الله: مركز مواطن.

بشير، نبيه (٢٠٠٦). **جدلية الديني والسياسي في إسرائيل: حركة شاس كحالة دراسية**. رام الله: مركز مدار.

بيرس، يوحنان وبن رفائيل، اليعازر (٢٠٠٦). **القرب والصراع: الاستقطابات في المجتمع الإسرائيلي**. تل أبيب: عام عوفيد. (بالعبرية).

بيلد، يوآف (٢٠٠١). «النجاح الانتخابي المستمر لحركة شاس: تحليل حسب نموذج تقسيم العمل الثقافي». في: آشر أريان وميخال شمير (محرران). **الانتخابات في إسرائيل ١٩٩٩**. القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية. ص:١٣٧-١٦٩. (بالعبرية).

بيلد، يوآف وشفير، غرشون (٢٠٠٥). **من هو الإسرائيلي: ديناميكيات المواطنة المركبة**. تل أبيب: جامعة تل أبيب.

تيسلر، ريكي (٢٠٠٣). **شاس والثورة الدينية**. القدس: كيتر (بالعبرية).

حين، نيتسان وبيبر أنشيل (٢٠٠٤). **الحاخام عوفاديا يوسيف- سيرة ذاتية**. القدس: كيتر (بالعبرية).

ريبيسكي، اليعازر (٢٠٠٦). **شاس: نظرات فكرية وثقافية**. تل أبيب: عام عوفيد (بالعبرية).

دورون، غدعون وكوك، ربكا (١٩٩٩). «الدين والسياسة في التعميم: نجاح الأحزاب الحريدية»، في آشير أريان وميخال شمير (محرران). **الانتخابات في إسرائيل ٢٠٠٦**، القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية. ص: ٨٥-١٠٦.

الـزرو، صلاح (١٩٩٠). **المتدينون في المجتمع الإسرائيلي**. الخليل: رابطة الجامعيين، مركز الأبحاث.

شاليف، ميخال وليفي، غال (٢٠٠٤). «الفائزون والخاسرون في العام ٢٠٠٣: الأيديولوجيا، المبنى الاجتماعي والتغيير السياسي»، في: آشر أريان وميخال شمير (محرران). **الانتخابات في إسرائيل ٢٠٠٣**، القدس: المعهد الإسرائيلي لدراسة الديمقراطية. ص:٢٤٧-٢٧٦.

طيفة، سلطان وباوم، روني (٢٠٠٨). «شاس- ليكن مع كيبا؟ بحث مقارن عن صيرورات التغيير في الأحزاب الدينية في إسرائيل وتركيا»، في: آشر أريان وميخال شمير (محرران). **الانتخابات في إسرائيل ٢٠٠٦**. القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية. ص: ٩٥-١٣٤.

غانم، أسعد (٢٠٠٥). **الهامشيون في إسرائيل: تحدي الهيمنة الاشكنازية**. رام الله: مركز مدار.

فيكر، اريال (٢٠٠٧). **فكر الحاخام عوفاديا يوسيف في مرحلة التحولات**. رمات غان: جامعة بار ايلان (بالعبرية).

كوهن، آشر (٢٠٠٤). «الصهيونية الدينية والمفدال في انتخابات ٢٠٠٣»، في: آشر أريان وميخال شمير (محرران). **الانتخابات في إسرائيل ٢٠٠٣**، القدس: المعهد الإسرائيلي لدراسة الديمقراطية. ص: ٢٧٧-٣٠٩.

كيمرلينغ، باروخ (٢٠٠٤). **مهاجرون، مستوطنون، أصليون: الدولة والمجتمع في إسرائيل: بين تعددية الثقافات وبين حرب الثقافات**. تل أبيب: عام عوفيد. (بالعبرية).

نير، يـوآل (١٩٩٩). **اريـيه درعـي: الصعود، الأزمة والألم**. تل أبيب: منشورات يديعوت أحرونوت.

هوروفيتس، أفنير (٢٠٠١). «انتخابات السلطات المحلية ١٩٩٨ كمرحلة في مأسسة حركة شاس»، في: أبراهام بريخنا وعامي بدهتسور (محرران). **انتخابات السلطات المحلية في إسرائيل ١٩٩٨**. تل أبيب: جامعة تل أبيب. ص ١٠١- ١١٨.

الهوامش

١ للتوسع في هذا الموضوع، أنظر: عزمي بشارة، **من يهودية الدولة حتى شارون: دراسة في تناقض الديمقراطية الإسرائيلية**، رام الله: مركز مواطن، ٢٠٠٥، الباب الأول، الفصل الثالث.

٢ للاستزادة حول قيام حركة شاس انظر: صلاح الزرو، **المتدينون في المجتمع الإسرائيلي**، الخليل: رابطة الجامعيين، مركز الأبحاث، ١٩٩٠. ص:٣٥٥. وأيضاً: ريكي تسلر، **شاس والثورة الدينية**. القدس: كيتر، ٢٠٠٣. وأيضاً: نبيه بشير، **جدلية الديني والسياسي في إسرائيل: حركة شاس كحالة دراسية**. رام الله: مركز مدار، ٢٠٠٦.

٣ **تقرير مدار الإستراتيجي ٢٠٠٥: المشهد الإسرائيلي في العام ٢٠٠٤**. ص: ٨٢.

٤ باروخ كيمرلينغ، **مهاجرون، مستوطنون، أصليون: الدولة والمجتمع في إسرائيل: بين تعددية الثقافات وبين حرب الثقافات**. تل- أبيب: عام عوفيد، ٢٠٠٤، ص:٣٠٤-٣٠٥.

٥ للتعمق حول صعود شاس في السياسة المحلية والحكم المحلي انظر: أفنير هوروفيتس، «انتخابات السلطات المحلية ١٩٩٨ كمرحلة في مأسسة حركة شاس»، في: أبراهام بريخنا وعامي بدهتسور (محرران). **انتخابات السلطات المحلية في إسرائيل ١٩٩٨**. تل أبيب: جامعة تل أبيب، ٢٠٠١. ص:١٠١-١١٨.

٦ كيمرلينغ، مصدر سبق ذكره، ص: ٣٠٥.

٧ للمزيد عن حياة الحاخام عوفاديا يوسيف انظر: نتسان حين وأنشل ببير، **الحاخام عوفاديا يوسيف- سيرة ذاتية**. القدس: كيتر، ٢٠٠٤. وحول فكره، انظر: اريال فيكر، فكر الحاخام عوفاديا يوسيف في مرحلة التحولات. رمات غان: جامعة بار إيلان، ٢٠٠٧.

٨ للمزيد عن حياة آرييه درعي، أنظر: يوئيل نير، **آرييه درعي: الصعود، الأزمة والألم**. تل أبيب: منشورات يديعوت أحرونوت، ١٩٩٩. وحول الدور الذي لعبه درعي في صعود الحركة السياسي انظر: غدعون دورون وربكا كوك، «الدين والسياسة في التعميم: نجاح الأحزاب الحريدية»، في أشير أريان وميخال شمير (محرران). الانتخابات في إسرائيل ٢٠٠٦، القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، ١٩٩٩، ص: ٩٦-٩٩.

٩ يوآف بيلد، «النجاح الانتخابي المستمر لحركة شاس: تحليل حسب نموذج تقسيم العمل الثقافي». في: أشير أريان وميخال شمير (محرران). **الانتخابات في إسرائيل ١٩٩٩**. القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، ٢٠٠١. ص: ١٤١-١٤٢. وأيضا اليعازر ربيسكي، **شاس: نظرات فكرية وثقافية**. تل أبيب: عام عوفيد، ٢٠٠٦.

١٠ يوحنان بيرس واليعازر بن رفائيل، **القرب والصراع: الاستقطابات في المجتمع الإسرائيلي**. تل أبيب: عام عوفيد، ٢٠٠٦، ص:١٤٨.

١١ بشارة، مصدر سبق ذكره، ص: ١٩٤. وللتوسع أكثر في فكر حركة شاس انظر: إليعازر ربيسكي، **شاس: نظرات فكرية وثقافية**. تل أبيب: عام عوفيد، ٢٠٠٦.

١٢ سلطان طيفة وروني باوم، «شاس- ليكن مع كيبا؟ بحث مقارن عن صيرورات التغيير في الأحزاب الدينية في إسرائيل وتركيا»، في: آشير أريان وميخال شمير (محرران). **الانتخابات في إسرائيل ٢٠٠٦**. القدس: المعهد الإسرائيلي للديمقراطية، ٢٠٠٨. ص: ٩٥.

١٣ بشارة، مصدر سبق ذكره، ص:١٩٥.

١٤ كيمرلينغ، مصدر سبق ذكره، ص: ٣٠٨-٣٠٩.

١٥ يوآف بيلد وغرشون شفير، **من هو الإسرائيلي: ديناميكيات المواطنة المركبة**. تل أبيب: جامعة تل أبيب، ٢٠٠٥. ص: ١١٨-١١٩.

١٦ بشارة، مصدر سبق ذكره، ص: ٢٠٧-٢٠٨.

١٧ دورون وربكا، مصدر سبق ذكره، ص:٩٤-١٠١.

١٨ طيفة وباوم، مصدر سبق ذكره، ص: ٩٧-٩٩. تجدر الإشارة إلى أن التغيير القيادي بين درعي ويشاي لم يكن الأول في القيادة السياسية لحركة شاس، فقبل ذلك استبدل ارييه درعي قائد الحركة السياسي الأول إسحق بيرتس، غير أن هذا التغيير لم يؤثر على الحركة كما حصل مع ايلي يشاي، تجدر الإشارة إلى أن القيادة الروحانية لشاس كانت مشتركة بين الحاخام عوفاديا يوسيف والحاخام شاخ. وكان بيرتس ممثلا للحاخام شاخ ودرعي ممثلا للحاخام يوسيف، وعندما تفرد الحاخام يوسيف بزعامة الحركة ازدادت قوة ارييه درعي وأصبح قائداً طبيعياً للحركة، المصدر السابق، ٩٨.

١٩ ميخال شاليف وغال ليفي، «الفائزون والخاسرون في العام ٢٠٠٣: الأيديولوجيا، المبنى الاجتماعي والتغيير السياسي»، في: أشير اريان وميخال شمير (محرران). **الانتخابات في إسرائيل ٢٠٠٣**، القدس: المعهد الإسرائيلي لدراسة الديمقراطية، ٢٠٠٤، ص:٢٥٤-٢٥٥.

٢٠ بيلد وشفير، مصدر سبق ذكره. يميز الباحثان بين ثلاثة توجهات للمواطنة في السياسة الإسرائيلية، خطاب المواطنة الليبرالي، خطاب المواطنة الاثني- القومي والخطاب الجمهوراني.

٢١ أشير كوهين، «الصهيونية الدينية والمفدال في انتخابات ٢٠٠٣»، في: أشير أريان وميخال شمير (محرران). **الانتخابات في إسرائيل ٢٠٠٣**، القدس: المعهد الإسرائيلي لدراسة الديمقراطية، ٢٠٠٤، ص: ٢٩٠.

٢٢ أسعد غانم، **الهامشيون في إسرائيل: تحدي الهيمنة الاشكنازية**، رام الله: مركز مدار، ٢٠٠٥، ص:٢٩٨.